

روح المعاني

الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة وقيل : هو قبل البعثة وبعدها كثرة خلط الأفاكين الكذب فيما يتلقونه من الشياطين أما كثرته قبل البعثة فلظاهر الخبر المذكور وأما كثرته بعد البعثة فلما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة أنه قال في هذه الآية : كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتستمع ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم فتحدث الكهنة بما أنزلت به الشياطين من السمع وتخلط به الكهنة كذبا كثيرا فيحدثون به الناس فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقا وأما ما خلطوه به من الكذب فيكون كذبا ولا يخفى أن القول بأن الشياطين بعد البعثة يلقون ما يسترقونه من السمع إلى الكهنة غير مجمع عليه ومن القائلين به من يجوز أن يكون الضمير يلقون في آية راجعا الى الشياطين والمعنى يلقي الشياطين المسوع من الملأ الأعلى قبل أن يرحموا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم إذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة عليهم السلام لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم وقيل : المعنى عليه ينصت الشياطين ويستمعون إلى الملأ الأعلى قبل الرجم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إلى أوليائهم بعد لشرارتهم أو لأنهم لا يسمعون في أنفسهم أو لا يسمعون أوليائهم بعد ذلك السمع كلام الملائكة عليهم السلام على وجه جملة يلقون على تقدير كون الضمير للأفاكين صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع سواء أريد بالفاء السمع الاصغاء إلى الشياطين أو القاء المسوع إلى الناس وجوز أن تكون استئنفا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزل واستظهر تقدير المبتدأ على هذا وأن تكون استئنفا مبنيا على السؤال كأنه قيل : ما يفعلون عند تنزل الشياطين أو ما يفعلون بعد تنزلهم فقيل : يلقون اليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم أو يلقون ما يسمعونهم إلى الناس وجوز أن تكون حالا منتطرة على التقديرين أيضا .

وهي على تقدير كون الضمير للشياطين والمعنى ما سمعت أولا قيل : تحتل أن تكون استئنفا مبنيا للغرض من التنزل مبنيا على السؤال عنه كأنه قيل لم تنزل عليهم فقيل : يلقون اليهم ما سمعوه وأن تكون حالا منتطرة من ضمير الشياطين أي تنزل على كل أفاك أثيم ملقين ما يسمعونهم من الملأ الأعلى اليهم وعلى ذلك التقدير والمعنى ما سمعت ثانيا قيل : لا يجوز أن تكون استئنفا نظير ما ذكر آنفا ولا أن تكون حالا أيضا لأن القاء السمع بمعنى الانصات مقدم على التنزل المذكور فكيف يكون غرضا منه أو حالا مقارنة أو منتطرة ويتعين كونها استئنفا

للاخبار بحالهم .

وتعقب بأنه غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل ومن هنا قيل : ان جعل الضمير للشياطين وحمل القاء السمع على أنصاتهم وتسمعهم إلى الملاً ألعلى مما لاسبيل اليه وفيه نظر وجملة هم كاذبون استئنافية أو تحتمل الاستئنافية والحالية وهذا وأعلم أن ههنا اشكالا واردا على بعض الاحتمالات في الآية لأنها عليه تفيد ان الشياطين يسمعون الملائكة عليهم السلام ما يسمعون ويلقونه إلى الأفاكين وقد تقدم ما يدل على منعهم عن السمع أعني قوله تعالى إنهم عن السمع لمعزولون . وأجيب بأن المراد بالسمع فيما تقدم السمع المعتد به وفيما ههنا السمع في الجملة ويراد به